ذات الوشاح الأسود

هاجر لبصير

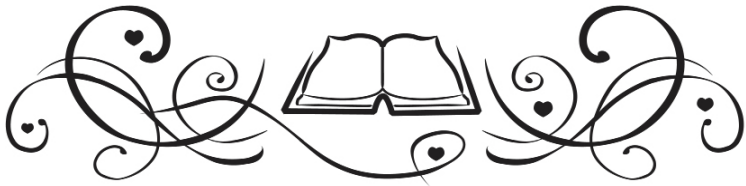

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى 1441 هـ - 2019 م
ردمك / (ISBN) : 978-9947-79-490-6-
التوزيع الدولي: مصر، لبنان، الأردن، العراق، السودان

اسم العمل: ذات الوشاح الأسود
اسم المؤلف: هاجر لبصير
تصميم الغلاف: عبد النور شلالو
المدير العام / سميرة منصوري
اخراج: فريق دار المثقف

الناشر/ دار المثقف للنشر الجزائر
صفحة الدار على موقع فيسبوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com
هاتف / فاكس 0666 76 28 50 / 033 85 65 75

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر

الإهداء

"إلى أولئك الذين رأوا جدار أرواحنا ينقض

فأقاموه، دون أن يطلبوا عليه أجرا"

شيفرة قلبي

كنت دائما أخاف
أن تأتيني متأخرا
عندما تخور قوتي
وتستنزف مشاعري
يكسر قلمي
أتوقف عن كتابة القصائد لك
أكف عن شرب القهوة سادة
أوصد الأبواب
وأنظف الزوايا من الذكريات
أغير شيفرة قلبي
أقطع شريان الحب
في جسدي
أكسر المرايا
وأعيد طلاء غرفتي
أمزق ستائري السوداء
أنفض فراشي
من بؤس الأيام

ومرارة المواقف
أقص جدائلي
أغير عطري
أرتدي وشاحي الأسود
تنطفئ اللهفة
ويموت الشغف
أهجر نافذتي
أكف عن انتظارك
أعلن الحداد على نفسي
أضع ضميري بجيبي
أحضر قلمي
وأكتب على دفاتري
لقد تأخر كثيرا...

لو

لو علمت أنها آخر مرة أراك فيها لنظرت إليك سبعين سنة دون أن ترمش لي عين،

ودفنت وجهي في صدرك دون موت.

لحبست أنفاسي في حضرتك وتنفست رذاذ عطرك.

لأغمضت عيوني عن كل الوجوه وأشبعت مجاعة قلبي من عينيك.

لو عرفت أنها آخر مرة أراك فيها لهجرت أبجديتي وكل اللغات ورحت أتغنى بحروف اسمك.

لرفضت الكؤوس الممدودة إلي ومت عطشا، وشربت من ترياق روحك حد الثمالة.

لاتقيت شر الأنام وجئت واكتويت بنار عشقك.

لأطفأت الأضواء وأنرت عتمة أيامي بنور مبسمك.

لو أدركت أننا لن نلتقي مجددا لصمت أبد الدهر وأفطرت عند غروب شمسك.

لما أفلتت يديك وغفرت لك ما تقدم وما تأخر من شوق، لحضنتك لصدري كأم مفجوعة في ابنها.

ألحد بجميع الأدوية شفائي الوحيد هو عينيك.

لو علمت أني لن أراك مرة أخرى لأقمت صلاة العشق في محراب عينيك واعتكفت سنينا حتى تفارق هذه الروح الجسد...

عمر من الألم

عشرة أقداح من القهوة
عشرون قرصا مهدئا
تسعة وتسعون شرخة في صدري
مئات الأغاني الصاخبة
ميل ومترين من البعد
آلاف الصرخات بعقلي
الكثير من الكدمات بقلبي
والصفعات على وجهي
عمر من الألم
وليال من السقم
أعين غائرة
وجه شاحب
معركة طاحنة
ظلام دامس
زوابع داخلية
رسائل مهملة
الساعة الرابعة صباحا
هذه الليالي بيضاء

وسادتي مبللة
والنوم يهجرني
أنهض صباحا
أرتدي فستاني الأحمر
الكعب العالي
أضع عطري
أحقن أنسولين الأمل
ألبس ابتسامتي
أمسح دموعي
أقبل جبين أمي
أدفن ألمي
أفتح أحضاني ليوم جديد
كأني ولدت اللحظة
وإذا سألتني عن ليلي
لأخبرتك بثغر باسم
أني أنامه ملء أجفاني
نحن الذين قضينا العمر
في العتمة
نريد أن نموت ونحن
في أوج الاشتعال.

بوح

أخبرته أني غير صالحة للحب
وأني مستهلكة جدا
وآثار الحروب السابقة
أرهقت فؤادي
وأن الألغام مازالت
مزروعة بصدري
وذاكرتي مخربة
ونوبات الشوق
مازالت تعتريني
وبرأسي تقرع الطبول
وفي مخيلتي عويل الثكالى
وبكاء اليتامى
وأنفاسي بها فوضى
وعمري شارع مهجور
بناياته سوداء
وأزقته فقيرة
وأني أحمل جنائز الدهر

فوق ظهري
والأمل غادر شوارعي
واليأس سكن قلبي
والأبواب أوصدت في وجهي
وقبل أن أكمل كلامي
كان قد رحل...

إلى امرأة بعدي

إلى التي ستأتي من بعدي
ويكتب بينكما نصيب
ويهديك أيامه القادمة
لقد تركت الكثير مني فيه
في قلبه يوجد الكثير من نبضي
وفي عنقه وشاحات حبنا
وفي راحتيه تركت رائحتي
وفي غمازتيه دفنت أنا
وتفاحة آدم الموجودة بعنقه مضجعي
وعلى ظهره رسمت خرائط حبنا
وعلى كتفيه العريضتين
علقت آمالي
وفي عروقه تجري سعادتي
وعلى شفتيه تتلى آيات عشقنا
أما صدره فهو
مهدي ولحدي
حياتي وموتي

صوتي وصمتي
وفي عينيه
فرحتي وبهجتي
بكائي وشقائي
ألمي وأملي
وعلى خصلات شعره
نثرت أيامي
وفي عينيه
رأيت جنتي
وعلى جبينه كتب
أنه ليس قدري.

هدنة

هدنة
أريد أن أتصالح معك
وأعلن الهدنة
أرفع الراية البيضاء
أركن عمري على جنب
أدفع أجرة كراء السنين
أسلمك مفاتيح أيامي
أنزع كعبي العالي
ووشاحي الأسود
أحمر الشفاه
وكحل العينين
أسدل جدائلي
أضع رأسي على كتفك
أتحسس وريدك
لحيتك الخفيفة
أبوح لك بسري
أخبرك عن ثقل الأعوام

ومرارة الأيام
وعمقي المنطفئ
وحدك تعرف الطريق إلى روحي
أزقة قلبي البائسة
غرف سعادتي المظلمة
دهاليز أحلامي
وسراديب أيامي
سأخبرك أني حزينة من دونك
وأن عود الناي من بعدك
قد انكسر
وفراشتك قصت جناحيها
وصندوق الأماني ضاع مفتاحه
وأن ساعات الانتظار
تنخر جسدي
وكتبنا أكلها الغبار
وعصافيرنا بح صوتها
وهذه الأشجار
تساقطت أوراقها
وعمري خريف

وقلبي صحراء
وأيامي عطشى
فلنتصالح...
مد يدك بدفء
أشعل سجائرك
تحسس قلبي
هذه ليست دقات
بل نتوءات
دفنت سعادتي من بعدك
ومن دونك لا أريد أيامي
وعمري هذا أتخلى عنه
ولا حياة لي من بعدك.

خذلان

لم تؤلمني رجلاي من أثر الوقوف
ولم تؤلمني معدتي من شدة الجوع
ولا ظهري من ثقل الحمل
ولا عينيا من كثرة الترقب
لم تؤلمني يداي من شدة التعب
ولا رأسي من كثرة التفكير
ألمي أشد وأعمق
أعظم من أتحدث عنه
كانت روحي تؤلمني
ووجداني ينزف
أوجعني الأشخاص الخطأ
والتوقيت الخطأ
والمكان الخطأ
آلمتني نوافذ روحي المنكسرة
وذاكرتي التي لا تكف عن النحيب
وقلبي الذي يطالبني بالكثير
فواتير العشق التي
لم أستطع سدادها

الوعود الكاذبة
الانتكاسات القاهرة
ثقتي العمياء
وغبائي المفرط
نبضي المتسارع
وكلماتي المتلعثمة
التي جاءت على استحياء
أولئك الذين لم يتشبثوا
بي عندما أردت الرحيل
والدروب الوعرة
التي سلكتها وحدي
والمعارك الطاحنة
التي خضتها متجردة
من كل سلاح
آلمتني براءة مشاعري
وعفوية ملامحي
سرعة الأيام المخيفة
وهذا العمر
يمضي هباء
ونقص عقلي وديني.

احتياج

لم أطلب يوما شيئا سوى أذن واحدة تسمعني، عين تتطلع إلي بشغف، حضن يستقبلني وقلب صادق يحبني، يأخذني على محمل الجد لا أن يراني مثيرة للشفقة.

لا يتصنع الابتسامة في حضوري ويأكل لحمي حين أغيب.

شخص أخبره كم أنا بائسة فلا يستصغرني، كم أنا مذنبة فلا يقيم محكمتي ويتحول إلى نبي يلقي علي دروس الحكمة والموعظة.

أنظر في عينيه وأقول أني أخطأت فلا يحتقرني.

شخص واحد على الأقل أخبره أني جائعة فلا تتسلل يده لجيبه ويجود علي بدينار كي يريح ضميره ويهين كرامتي ويرضي غروره أنه صاحب فضل علي.

أنا وأنت بحاجة لشخص حقيقي إذا جار علينا الزمن هو لا يجور وإذا خذلتنا الوجوه لملم شتاتنا وضرب على قلبه وقال أن موطننا هاهنا...

شخص واحد ينظر إليك كأنك ملحمة، يخشى حزنك ولا يقف بجانبك، يخاف أن ينام بينما أنت أصابك الأرق، شخص يملؤ جيوبنا بالوعود الصادقة، نضع رؤوسنا على كتفه فتزهر الأيام بعينيه، قلبه ينبض كصوت آذان، فتقوم الليل في حبه إيمانا واحتسابا...

أيام مهترئة

تتسلل هذه الرائحة لأنفي
ليست غريبة
أعرفها جيدا
رائحة الأيام المهترئة
والصباحات الفارغة
الليالي الطويلة
النوم المتقطع
صراخ الجيران
جلبة الأصوات
الشكاوي الساكنة بالصدور
الأمنيات التي أرسلناها للسماء
الوعود الكاذبة
الأجنحة المنكسرة
أنظر من النافذة
الكثير من الوجوه
كلها في صراع
الأشخاص يتساقطون
من شجرة عمري
أرى الدموع بعيني أمي

هي تعلم جيدا
أن هذه الأيام
تؤرقني
تحاول أن تفتح
معي حديثا
لكني أتجنبها
أسألها عن طبختها
التي لن آكلها
عن جارتنا
التي لا أعرفها
ماذا سأخبرك يا أمي
أن الأيام تنكرت لي
وألقيت قلبي في الجب
وركنت سعادتي على جنب
وتقوقعت على نفسي
علقت آمالي على حائط الموت
وارتديت كفني على قيد الحياة
وأن دموعي تحجرت
وبريق عيني قد بهت
وأن الحياة مأساتي
أنا شخص لا يشبهني.

الاحتباس القلبي

هذا العمر بحاجة لترميم
وهذه الأيام تنقصها
ريشة فنان
حروف شاعر
نوتات موسيقار
وضحكات الأطفال
دعاء الأمهات
هذا العمر بحاجة لصلاة
لدعاء
لرسائل عشق
وأغنيات الغرام
لأكواب قهوة
وزخات المطر
للحافات تقينا
زمهرير الحياة
وأحضان دافئة
هذا العمر بحاجة

لوعود حقيقية
لمرهم للألم
لشخص يمشط
خصلات شعرنا
ويطبع قبلة على جبينا
يداعب نحرنا
حتى يلامس أعماقنا
فتهتز أجسادنا
كأنه بركان
لقطار يأخذنا
نحو المجهول
نمزق الذكريات
نحمل الحقائب
نشطب الأسماء
ونمضي...

بيني وبينك

بيني وبينك
المسافات والعادات
السنين والطرقات
الجراح والنتوءات
بيني وبينك
ألف عام من الحرب
وأعوام من الخراب
مدن مهجورة
كلام الناس
وأعين الجيران
بيني وبينك
جدران الخيبة
ودهاليز العتمة
الضحكات المغتالة
والبراءة المغتصبة
ابتسامات بائسة
وشيخوخة مبكرة

بيني وبينك
ستون عاما من الذنب
ونصف عام من المغفرة
بيني وبينك
ليل لا ينتهي
وشتاء طويل
وحلم اختفى
وحقائب أمنيات مثقوبة
عيون ساهرة
وجوه الموتى
ووحشة القبور
بيننا
رحلة طويلة
ورسائل فارغة
وأرواح مكبلة
تعثرورجاء
وهستيريا الفراق
بيننا لقاء لن يجمعنا...

ليل أسود

اتركوا هذا الليل
دعوه في سلام
لقد ضاق ذرعا بكم
لم يعد يقو
على سماع أنينكم
لقد أنهكتموه
فلتأخذكم الشفقة به
احزموا حقائبكم
اتلوا عليه آيات النسيان
غادروا دياره
ولا تعودوا أبدا
احجزوا مقاعدكم
بجوار النوافذ
انفثوا آلامكم
دخنوا سجائركم الأخيرة
امسحوا دموعكم
انزعوا أشلاء أرواحكم

توقفوا عن كتاباتكم
ادفنوا ماضيكم
خذوا تذاكر الموت معكم
ارحلوا بعيدا
واتركوه
يلملم شتات نفسه
يلون سواده
يرثي نجومه
ويبكي قمره
اتركوه
فلا طاقة له بدموعكم.

كبرياء وألم

كيف يصدق البعض أنك هش
وأن بداخلك سنينا من البكاء
وفي قلبك مجازر وحروب
وأنك تائه في اللاشيء
وأنت الذي تشرب قهوتك
على أنغام الموسيقى
ومازلت تنظم الشعر
وتربت على كتف الجميع
كيف سيصدقونك
وأنت تحمل بين ضلوعك هذا القلب
وأنفاسك هادئة
وفي عينيك بريق الأمل
كيف ستقنع هذا العالم
أنك كل ليلة
تشيع سعادتك لمثواها الأخير
وتتلو عليها الفاتحة
تدخل قبرك

وتلقي على نفسك التراب
وكل هذا الدفء في يديك
وفي صوتك نغمة
وفي كلماتك طرب
كيف ستخبر الكل
أنك مستنزف جدا
وأنك على قيد الموت
والحزن افترش صدرك
والحب حزم حقائبه ورحل
وأنت توزع الابتسامات
أينما حللت
كيف يصدق البعض
أن داخلك شيخ
وعمرك ألف عام
من الخيبة
ومئة هزيمة
وكثير من الندم
وأنت تكتب الحياة
بعنوان من الأمل

وسيل من الحنان الجارف

وعنفوانك شامخ

وكبرياؤك لا يكسر...

نصف سبب للبكاء

تلك الأيام التي تبحث
فيها عن سبب للبكاء
أن تبكي وفقط
عندما يخبرك أحدهم أن
بطل مسلسلك قد مات
فتبكي...
وأن فنجان القهوة
الخاص بك تكسر
فتبكي...
وأن قميصك أحرقته المكواة
فتبكي...
وأن جوربك قد ضاع
فتبكي...
وأن دفتريومياتك تمزق
فتبكي...
وأن هاتفك نفذ شحنه
فتبكي...

وأن التلفاز توقف عن عرض الإنمي

فتبكي...

وأنه تم تأجيل مباراة منتخبك

فتبكي...

تدفن رأسك

وتدخل في هستيريا البكاء

أن تبكي وفقط

لأن داخلك مليء بالدموع.

قيامة

في غيابك انفطرت السماء
وانشقت الأرض
واختلطت الفصول
أشرقت الشمس من مغربها
انطفأ القمر
ووجلت الأفئدة
بكت الأعين دما
وضربت الزلازل القارات
غرقت آلاف السفن
وأريقت الدماء
حدثت مجازر
وانتشرت الأوبئة
أعلنت حالة الطوارئ
تعالت الصيحات
وسالت العبرات
سار الزمن بطيئا
الدقيقة ألف سنة مما يعدون

لكن
لم تذعها الأخبار
ولم تنشرها الصحف والمجلات
ولم تثرثر بها الجارات
ولا الشباب بالمقاهي
ولم يناقشها المحللون
على التلفاز
قامت قيامتك بقلبي وحدي
هناك أشياء لم تخلق للبقاء.

سأكتب

سأكتب...
ما دامت هذه الغمامة السوداء تلاحقني
وهذه الأوراق بخريف عمري صفراء
مادام قلبي يقيم العزاء
وفي مشاعري رضوض
وخاطري مكسور
وذكرياتي مبتورة
وروحي عرجاء
والهيروين ممنوع
والقتل حرام
والطرق خانتنا
والأصدقاء باعونا
والأيام تنكرت لنا
والكلمات حبيسة الحناجر
والسنين تحمل رائحة الموت
والعمر ضائع
و الأصفاد تقيد يدي

وشعلة الأمل انطفأت بقلبي
والهواء ملوث
وهذا العالم مليء بالتعاسة
وأحاسيسي أصيبت بنزلة برد
وقلبي لا يتوقف عن البكاء
ولساني أخرس
فسأظل أكتب
حتى يسدل الستار
وتعلن النهاية.

سيرة ذاتية

يجب أن أخبرك أني لا أطاق
وأن الكلمات المتاحة لا تجذبني
والمواقف المصطنعة لا تغريني
والابتسامات الباهتة لا تستهويني
والأشخاص المترصدون على الأرصفة
يثيرون اشمئزازي
أنا لا أعيش تقاليدك
ونواميسك لا تهمني
أنا لدي جنوني
هذه التجاعيد على جبين أبي
هي وطني
وقلب أمي هو بوصلتي
وهذا العالم لا يحتويني
يجب أن أخبرك
أن التفاصيل تعنيني
فلتعرف
أني أحب بعنف

وأشتهي بقسوة
وأمارس الحياة بابتذال
في روحي
خبث الشياطين
ورقة الملائكة
وأني لا أفتح بابي
للأشياء المتأخرة
والنبض أقيسه
على سلم ريشتر
والانتظار المفرط عندي ضريبة
فإما أن تدهشني
أو تنحى جانبا.

سعادتي الحزينة

أما اليوم فإني قد استحلت
لغيمة لا تمطر سوى الدموع
والكتف الذي استند عليه الجميع
صار لا يقوى على حمل معطف
والنوتات المعزوفة على أوتار قلبي
صارت آهات
والدرب الذي مشيته خانني
ولم يوصلني
وحصان الشغف الذي امتطيته
أسقطني
وقناع السعادة المزعوم
أرهقني
والرجل الذي حلمت به تركني
لا رغيف يسد جوعي
ولا شربة ماء تروي عطشي
هذا الجدار لن يسند ظهري
وهذا الرداء لن يمنع عني البلل

وهذا السقف لن يحجب عني
لفحة الرمضاء
مبتورة أضلعي
مشتتة ذاكرتي
موجوع قلبي
ووجداني ينزف
وكل ماوصلت إليه
لم أعد أريده
أصابتني لعنة التجاوز.

انتظار

أخبئ بعضا مني لك
مازلت أخبئ
فستاني الأحمر
ووشاح الدانتيل
جدائل شعري
عقد اللؤلؤ
وعطر الياسمين
مازلت أخبئ
ضحكتي البريئة
وصوتي الناعم
وبريق عيني
وملمس يدي
مازلت أخبئ لك
آية من سورة
بيتا من الشعر
نسمة من فجر
ونجمة من ليل

وحبات من مطر
مازلت أخبئ لك
الكثير مني
لعلك ستعود يوما...

شلل المشاعر

أن يصيبك شلل المشاعر
وتتهاوى الأشياء من حولك
وتجد نفسك عاجزا عن التقاطها
ترخي قبضة يدك
تفتح الأقفاص
وترمي مفاتيحها للقاع
تلقي بكتاباتك للنيران تلتهمها
تتوقف عن سقي أزهارك
فتذبل...
وإطعام سمكاتك
فتموت...
ما عادت الأغنيات والرسائل
تعنيك
ونوائب الدهر لن تخيفك
تتبعثر من الداخل
وتعتريك الفوضى
تحاول أن تبكي

فتخونك دموعك

ويهلكك الظلام

تخطو خطوة للأمام

وعشر خطوات للوراء

فتنام...

وفي نفسك مليون جرح

وفي قلبك ألف غصة

وفي عقلك مئات الحروب

وعشر انكسارات وبيدك حياة واحدة...

مدينة لنفسي

وإن كان علي دين
فهو ديني لنفسي
مدينة لنفسي
بخمسة وعشرين سنة
من الألم القاتل
والانتظار الفارغ
وليال من الأرق
وصباحات من الندم
الأشخاص الخطأ
والمواقف التي كان يجب
أن أقول لا فقلت نعم
بدموع متحجرة في مقلتاي
والحزن الذي أكل قلبي
والضعف الذي نخر جسدي
مدينة لنفسي
بالسعادة التي فوتها
وأنا أركض حافية الأمل
في صحراء هذا العمر

بسمفونيات نكد
مدينة لنفسي
برهان خسرته
وقلب بريء فقدته
وعمر يمضي على عجلة
حتى لم أعشه
وعندما صحوت
أدركت أني أضعته.

تعثر قلبي

الكلمات التي بقيت حبيسة الحناجر
وعندما خرجت لم يسمعها أحد
الرسائل التي أمضينا كل النهار في كتابتها
وفي آخر الليل مزقناها
ولم يقرأها أحد
النظرات التي أضاعت طريقها في الزحام
العبرات التي تصلبت بالمحاجر
الورود الذابلة على حافة الطريق
الليالي الطويلة
الهالات السوداء
المضاجع الباردة
والديار المهجورة
الأيام الكئيبة
والوعود الكاذبة
الانتظار الطويل
والسجائر الكثيرة
شاشات الهواتف المضاءة عبثا

عقارب الساعة التي تمضي ببطء شديد
الذكريات التي لم تمح من عقولنا
والألم الذي سكنن أفئدتنا
الكتب المرمية على طاولاتنا
الأسطوانات الحزينة
كل هذه التفاصيل
نحن عندما تتعثر قلوبنا.

فوبيا الحب

فلنعترف أننا لم نخف أن نخوض غمار الحب يوما وأن الرغبة في الحب متأججة بدواخلنا، لكننا نخاف الخيبة والخذلان، الألم الذي يسببه لنا من نحبه.

عاجزة أنت عن تكرار نفس المأساة، فصول قصة حزينة لم تكتمل، أن تضعي قلبك بين المطرقة والسندان، تعلمين جيدا أن لا شيء يعيد للحياة بهجتها أكثر من الحب.

أنت كل صباح تتمنين شخصا معك يشاركك فنجان قهوة، يمسح على رأسك، يقبل جبينك.

فلنعترف أن لا شيء تريده امرأة كما تريد الحب ولكن أن تعلقي سعادتك على مشجب شخص آخر ثم فجأة يقطع حبال السعادة عنك فهذا ما يخيفك.

هذا الصراع الذي ينهش دواخلنا بين العقل والقلب مستمر، نحن أفسدنا قلوبنا بأشخاص خطأ حتى لم نعد مستعدين لهضم خيبة أخرى، نحن في حاجة لكننا نمتنع عن السؤال ثم يمضي هذا العمر زهيدا خال من كل مايعيد له رونقه، فيأخذنا الموت فقراء من كل سعادة وحب، إن لم يكن هناك حدث مثير ينقذنا من حتمية الموت، فلينقذنا الحب على الأقل من مأساة الحياة...

خطيئة

بعد ثلاثين عاما من الموت
عادت الحسناء
تجر أذيال الخيبة
مطأطئة الرأس
منهوكة القوام
مكسورة الخاطر
مثقلة الفؤاد
صدرها مطعون
وهمسات الحزن
بين ثنايا صوتها
شعاع البؤس في عينيها
تنتعل الألم
وتلبس رداء الخيبة
أسدلت فوق شعرها
وشاح الذكريات المغتصبة
وجهها يعبر عن حزن دفين
تعض أصابع الندم

عودي أدراجك سيدتي
هذه القبيلة لن تستقبلك
وجبينك طبعته الخطيئة.

البؤساء

نحن المتناثرون عشقا
المتأملون عبثا
المنتظرون سنينا
الخائبون دائما
المتجرعون مرارة
المنتفضون ألما
الذين تبكيهم أوراق الخريف
وتضحكهم زخات المطر
تؤرقهم نهايات الروايات
وتسعدهم ابتسامات المارة
لا يعرفون لغوا ولا كذبا
نحن ضحايا الزمن
وشظايا الجنون
نحن الوجهات المجهولة
والحكايات التي لم تكتمل
الصباحات الباهتة
نحن القلب الأبيض

والنوايا التي دنسها الحمقى
وعبث بها الفارغون
نحن الكلمات التي لم تقل
والحب الذي اغتالته السنين
العيون البنية المنطفئة
النوم نهارا
والبكاء ليلا
نحن البدايات الخاطئة
والنهايات المأساوية
نحن سنين عجاف
لا سماؤنا أمطرت
ولا تربتنا أنبتت
ولا شمسنا أشرقت
ولا نجومنا سطعت
نحن الخطيئة الأولى
التي لازمتنا للأبد
بؤساء...

أخاف عليك

أما اليوم وقد انقطع الود بيننا ومضينا كأننا لم نعرف بعضا فإني صرت أخاف عليك.

أخاف عليك من امرأة مثالية لا تهيم عشقا بك.

أخاف عليك من امرأة تترك يدك في أول مشكلة تواجهكما.

امرأة لا تعنيها تفاصيلك، لا تنظر لعينيك وأنت تتكلم.

امرأة لا تلقي بنفسها بين يديك كطفلة صغيرة إذا حزنت.

امرأة تناولك فنجان القهوة كأنها تؤدي واجباتها الزوجية ولا تتلو على قهوتك آيات العشق ونواميس الغرام.

أخاف عليك من امرأة لن تكتب لك يوما بيتا من شعر تتغزل فيه برائحتك.

أخاف عليك من امرأة لا تنتظر دقة الباب عند عودتك تنزع معطفك وتلبسك رداء السعادة.

امرأة لا تشعر بالأسى على كل ثانية تمضي وأنت بعيد عنها.

أخاف عليك من امرأة تقليدية وأنت الجامح الذي تنصهر الثلوج بين يديه.

أخاف عليك من امرأة لا تقيس الشوق في غيابك على سلم ريشتر.

امرأة لن تحفظ لأجلك يوما دواوين الحب.

أخاف عليك من امرأة لا تلبس حزنك ولا تشفي سقمك ولا تروي عطشك.

امرأة لا تستشعر أنفاسك كما أفعل أنا، لاتداعب لحيتك، تتصنع الأنوثة في حضرتك.

أخاف عليك من امرأة لا تشبهني، لن تنجبك بعدي.

أخاف عليك من امرأة لن تحبك على طريقة الأساطير كما فعلت أنا.

ماهية الحب

عندما كنت صغيرة اعتقدت أن الحب هو تلك النظرات التي يتبادلها أحمد وريم في حينا خلسة.

في سنواتي الجامعية اعتقدت أن الحب هو تلك الأماكن الفاخرة والملابس الأنيقة التي كان يهديها محمد لمريم.

يكبر المرء وتتغير نظرته للحياة، فيزيح أشياء ويتشبث بأخرى.

اليوم أجزم حرفيا أن الحب هو تلك الأرملة الشابة التي أبت أن تتزوج خوفا على بناتها من زوج أمهم

والرجل الذي اكتفى بزوجته العاقر، على أن ينجب من امرأة غيرها.

الحب هو ذلك البناء الذي ينهض باكرا، ثم يعود آخر المساء حاملا كيس حليب وخبزات فتستقبله زوجته بابتسامة الرضا ويقبله أولاده كأنه عاد حاملا الجنة لهم.

الحب هو أختك التي تنظف حذاءك كل يوم لا لشيء سوى لأنك الرجل الوحيد بين خمس بنات.

تلك الفتاة التي لطالما حلمت بصغيرها بين ذراعيها لكنها رفضت الكل ووهبت حياتها للعناية بوالدتها المقعدة.

الحب هو ذلك الشاب الذي لم يتخل عن حبيبته بعد أن أصابها المرض فتزوجها ثم توفيت بعد شهر.

الحب هو أولئك المتمسكين بأوطانهم رغم الثوارت وصوت القنابل والانفجارات.

الحب هو دعاء الأمهات، العرق المتصبب من جبين الآباء، دمعة حسناء وحمرة الخجل على وجهها، والعروق البارزة في رقبة أخي إذا أزعجني شخص، الحب مواقف وقناعات...

متورطة بك

ولأني كنت معك امرأة بذراعين مفتوحتين، قلب أم وعقل غبي ومشاعر صادقة، فإنك خذلتني وزرعت سكينا بقلبي، أنت الذي جئتني بعد عمر من الخيبات فأحببتك، أحببتك كما لم أحب شيئا وأحدا ورحت بكل غباء أوقع لك شيكات أيامي المتبقية، لم يخطر ببالي لحظة أنك شخص فارغ الرصيد من الرجولة، ما يؤسفني أكثر أني مازلت متشبثة بك، غارقة فيك للحد الذي لا أريد النجاة منك ولو أخبروني أنك ناري وانتحاري لأتيت واحترقت بك.

كل طرقي تؤدي إليك ولا أحفظ طريقا واحدا يعيدني عنك إذا امتلأ وجهي يوما بالصفعات ولم يبق لي على خريطتك مكان يحتويني.

أنثى جامحة مثلي لا شيء يمتص بريق وجهها كالإهمال، وأنت أهملتني كثيرا، كنت أموت شوقا لك وأنت على الطرف الآخر من الخط، تمارس لعبة الحياة بانحطاط، تدخن سجائرك وترتشف قهوتك، حسبك من الأيام أنثى تمتثل أمامك إذا أردتها، تجمعني مرة وتبعثرني مرات...

كير النساء

كانت كلمات أمي اللاذعة ومقارنتها لي بأختي كافية بأن تقضي على آخر ذرة حب في قلبي لها (أختي)، يوم تقدم رامي الفتى الوسيم خريج كلية الطب لخطبتها أعلنت عليها العداوة وأقسمت أني سأحمل لها هذا الكره ما حييت.

شقيقتي تفوقت علي حسنا وعلما، لطالما كانت محبوبة العائلة وحسناء الجامعة، ما كان يؤلمني أكثر هو كلمات الجيران عندما يتساءلون: هل أنتما حقا أختان؟ شتان بينكما؟

كان قلبي يمتلئ حقدا نحوها وأشعر أنها سرقت سعادتي بالحياة، فتأكل نار البغض صدري فيستحيل وجهها الجميل إلى أفعى في عيني ويسود وجهها الناصع البياض كغمامة سوداء.

دفعي لها أمام الشاحنة عندما كانت بصدد أخذ سيلفي على الجسر، كان كفيلا بأن يدخلها تحت الأرض ويذبل زهور عمرها.

منذ ذلك اليوم وهي جليسة هذا الكرسي المتحرك لا تنبس ببنت شفة، ولا تحرك رجلا.

عندما أتى رامي ذات مساء لبيتنا وأخبر أبي أنه لن يستطيع مواصلة حياته مع أختي وأنه سيلغي هذه الخطوبة، لأول مرة في حياتي شعرت بغصة في صدري اتجاه أختي وعندما سقطت من الدرج في محاولة منها

للوقوف أدركت أني شيطان.

هي تعلم جيدا أنني دفعتها عمدا وأنا أعلم أنها لم تفقد القدرة على الكلام، وأعلم أنها تنظر في عيني قصدا وتعلم أني أهرب بنظراتي منها لأن قلبي خبيث ونواياي متعفنة وفكري أحمق وأني أضعف من أواجه عيناها الجميلتان وقلبها البريء.

سرطان الحب

مضت عشرة أيام والصداع يقيم احتفالا برأسي، وحالة من الغثيان والدوار غير المعهود، في المساء أخبرت زوجي أن الله سيرزقنا بولد ثالث، فأصر على إجراء الكشف للتأكد من الأمر.

ما أثار دهشتنا هو أن فحص الحمل كان سلبيا، علت وجه زوجي سحنة غريبة رغم أنه حاول إخفاء دهشته لكنه لم ينجح، طلب مني أن أرتاح قليلا فهذا مجرد تعب وضغط الأولاد، فراح يدللني كثيرا، يساعدني بأعمال البيت يراجع كل مساء دروس الأطفال.

لكن الأمر تطور معي بسرعة لم أعد أقوى على النهوض من الفراش وكلما حاولت جاهدة يغمى علي.

حملني زوجي ذات ليلة على جناح السرعة للمستشفى أين وجهوني بدورهم لطبيب مختص للقيام ببعض الفحوصات والإشعاعات، هنا نزل خبر إصابتي بالسرطان كالصاعقة علي، صرت أخضع لجلسات العلاج بالكيماوي تمنيت الموت وقتها على ذلك الألم، سقط شعري ورموشي، تغير لون جلدي واستحال وجهي أسودا وشفاهي بيضاء، تطور الأمر بسرعة حتى قرر الطبيب استئصال الثديين والرحم.

في اليوم الذي كنت أدخل فيه لغرفة العمليات، كانت أم زوجي وأخته يختاران له عروسا، بحجة أن الآلة الأولى صارت مهترئة والرجل بحاجة

لامرأة تؤدي واجباته على أكمل وجه.

قدرلابني وابنتي أن يعيشا مع زوجة أب وأمهما مازالت على قيد الحياة، مكثت طويلا بالمستشفى زيارات زوجي تكاد تنعدم، ونادرا ما يحضر الأولاد لرؤيتي ويخبرني أن زوجته تعتني بهم جيدا.

عدت لبيتي بعد رحلة العلاج ووضعي النفسي متأزم جدا.

هل جربت ألم مشاركة امرأة لك زوجك؟ ترينه كل يوم يدخل غرفتها ويهجرك لأنك لا تقوين على الوقوف حتى، ترافقه حتى الباب، تربت على كتفه تناوله معطفه وتنتظر عودته وأنت في دوامة تراقبين ما يحدث بفم ساكت وقلب باك.

الأدهى من هذا أنها أخذت غرفتي، سريري وخزانتي ليس هذا فحسب سعادتي، ضحكتي، سرقت سنين عمري المتبقية وكل صباحاتي.

كنت أرى الأشياء من حولي تتهاو ، توقفت عن تناول أدويتي ووهبت نفسي للموت يوم تأكدت أن سرطان الفقد والخذلان قد أصابني...

فلنر تقي

في إحدى المؤتمرات التي حضرتها خارج الولاية كطالبة طب تشرف على التخرج قابلت الكثير من الطلبة والباحثين، فمنهم من استطاع أن يطور بعض النظريات المستعصية ومنهم من ترأس أحد المستشفيات بأوروبا، هنالك الكثير من الطلاب الذين سجلوا بجامعات عالمية، هواة يمارسون الكتابة، الرسم والموسيقى، ذوي احتياجات خاصة يحاولون بناء حياة مستقلة لأنفسهم يكافحون الدنيا، عصاميون خرجوا من قبو الحياة لنورها.

فجأة استحضرتك أنت في عقلي كإنسان عقيم لا ينجب فكرة ولا يناقش رأيا ولا يقرأ كتابا.

جئتني خاليا من كل إبداع، قبيح الفكر دميم العقل مكسور الساعد، طبقة سميكة من التفاهة والخمول.

مهاراتك الوحيدة هي النوم حتى الواحدة ظهرا، الإسراف في التدخين وقذف بنات الحي والتشهير بهن، تتصل بي آخر النهار تسمعني كلمات جارحة كأنك آخر رجال الأرض.

أيقنت كيف يظلم الإنسان نفسه ويحط من قيمته، كيف توقع المرأة قدرها عندما تسمح للجبناء بدخول حياتها تحت مسمى الحب.

الطلقة الروسية

عندما كنت صغيرة كنت دائما أسمع خالتي تهمس في أذن أمي: ابنتك هذه ستكون من نصيب أحمد ابني.

أخذ كلامها الكثير من عقلي فكنت أرتبك كلما رأيته وتحمر وجنتاي ولا أقوى على النظر في عينيه أو أمد يدي لمصافحته.

كانت الفتيات صديقاتي يعشقن ويكلمن الرجال، بينما كانت أحلامي كلها حول أحمد، لم أحادث يوما شابا ولم أجرب أن أحب غيره، كنت أعيش قصة حب في قرارة نفسي، على طريقتي وأحلم باليوم الذي تدق فيه خالتي بابنا كي تطلب يدي، فيبعث هذا في نفسي النشوة والسعادة وأتأكد أكثر أنه من نصيبي.

عندما سافر أحمد للخارج كي يكمل دراسته أقسمت على انتظاره ولو لبث دهرا.

اليوم وبعد خمس سنوات نحن ببيت خالتي ننتظر عودة أحمد بعد غياب طويل، أشعر برجلاي ترتجفان ولا تقويان على حملي ونار الشوق تسير بجسدي وقلبي يخفق بشدة.

دخل أحمد بكل هيبة ووقار، جميل المحيا شديد سواد العينين، وبجانبه كانت تقف حسناء شقراء الشعر، ذات عينين خضراوتين جميلتين، علا وجه أحمد حمرة خفيفة، نظر إلينا وقال: أنجيلا زوجتي الروسية.

عشق الخمسين

جلست على طاولة بكافيتريا الجامعة تنتظر المعجب السري الذي قضى ما يزيد عن خمسة أشهر يتغزل بها، فأحيانا يبعث قصائد حب وغرام على صفحتها على الفايسبوك، وأحيانا أخرى يتصل بها على رقم هاتفها الخاص الذي اندهشت كيف وصل إليه.

كان يتصل بها كل ليلة متمنيا لها أحلاما سعيدة ونوما هنئيا وفي الصباح يبعث لها رسائل يخبرها أنها شمسه الدافئة وأن صباحاته سعيدة بوجودها.

تشابكت أصابعها وراحت تحرك إبهامها في حركة دائرية تعبر عن قلقها الشديد، كان الزمن يمر بطيئا جدا ومعدل الأدرينالين بجسمها يرتفع.

هي التي خرجت قبل سنتين من علاقة عاطفية فاشلة بكل المقاييس، فبعد خياناته المتعددة لها راح يشهر بها في المجالس بين أصدقائه ونصف الكرة الأرضية شاهدت صورها.

بعده أقسمت على أن لا تمنح أحدا مرة أخرى فرصة العبث بقلبها، لكن هذا الأخير بكلماته العذبة دغدغ مشاعرها وفتح شهيتها للحب من جديد.

لكنه لم يفصح لها عن هويته مبررا ذلك بخوفه أن لا تتقبله، كانت

تعامله بجفاء حتى لا تزرع في نفسه غطرسة ودلالا يفسد طبعه.
استمرا هكذا حتى قرر أن يلتقي بها فهو لم يعد يقوى على كتم مشاعره أكثر ويريد أن تأخذ علاقتهما منحى جديا.
اتفقا على المكان والوقت، كانت عيناها مصوبة نحو المدخل الرئيسي وكلما رأت شابا قالت هاهو ثم تخيب تكهناتها.
فجأة رن هاتفها بعث لها رسالة قائلا: لا تقلقي يا ذات عيون القطة أنا قادم فأدركت بأنه رآها، أخذ قلبها يخفق بشدة وضعت قليلا من العطر، رفعت شعرها، اعتدلت في جلستها وأطرقت رأسها كي لا يظن أنها مهتمة بقدومه.
بعد لحظات؛ حذاء لماع، سروال كلاسيكي أنيق، ساعة Relax ومعطف أسود حريري الملمس تحته قميص ناصع البياض، عطر فخم انتشر بكل المكان، لحية خفيفة مرتبة داعبها بعض الشيب، عينان بنيتان حادتان وشعر مصفف بطريقة أنيقة جدا.
كتفين عريضين، قامة منتصبة في هيبة وشموخ.
ارتجف جسدها وشعرت بوجنتيها تشتعلان، لم تستطع حتى الوقوف نظرت لعينيه مباشرة غير مصدقة ما تراه إنه ناذر صديق والدها ذو الخمسين عاما.

نصيب

كنت تأتين وتذهبين أشاهد انطفاء الفرح في عينيك، بحة الصوت في حنجرتك، حشرجة الألم في صدرك ولكنك لم تحدثي أحدا يوما عن حزنك.

تقبلين جبيني ويدي وتطلبين الرضا أخبرك أني راض عنك ما حييت، راض عنك ولست راض عن نفسي، لأنك لم تكسري كلمتي لكنني كسرت قلبك عندما رفضت الشاب الذي أحببته وزوجتك بشخص اخترته لك عبثا.

في ذلك اليوم وقبل عشر سنوات أطفأت في عينيك نورا لم يشتعل مرة أخرى...

ليتك بكيت وتمردت، وقفت في وجهي ورميت بقراري الجائر عرض الحائط، كان يقف بينك وبين زوجك كالجبل الشامخ، أراه في عينيك، في ابتسامتك، عندما تتوهين أدرك جيدا أنه مازال بقلبك.

يوم زففتك لغيره حكمت على سعادتك بالموت وشيعتك لمثواك الأخير في ثوب عروس.

جوع الأرواح

مازلت أذكر جيدا تلك الليلة الباردة من شهر يناير كيف رميتنا للشارع يلتهمنا أنا وأمي وإخوتي وقلت أنك لم تعد تريدنا، تخليت عنا واتبعت السكر والعربدة.

استقبلنا خالي في بيته ليلتها لكني لم أستطع النوم طوال الليل ماذا سيحل بنا؟ أين سنذهب؟ في الصباح الباكر سمعته هو وزوجته يتهامسان قائلة له أنا لا أريد أختك وأولادها معنا.

أيقظت أمي وإخوتي ورحلنا دون أن نحدث أي جلبة، كرامتنا أكبر من أن نشبع بطوننا بخبز الذل الذي يقدم لنا شفقة من قريب.

مشينا حتى وصلنا إلى أحد الأحياء القصديرية الفقيرة الممتلئة بالناس أمثالنا، كنا نفترش الأرض ونلتحف السماء، نقتات من ما تجود به يد المارة علينا حتى التحقت أمي للعمل بأحد المصانع بأجرة يومية، لم تكن تأكل وتنام جيدا من أجلي أنا وإخوتي خاصة أنني كنت على مشارف التخرج وازدادت مصاريفي ومتطلباتي عندما كنت أسألها غاضبة لماذا لا تأكلين يا أمي ترد بكل هدوء أن الجوع لا يقتل.

بعدها بأيام تعرضت أمي لحادث سير أرداها قتيلة عندما كانت تهم مسرعة لقطع الشارع من أجل أن لا أجوع أنا وإخوتي، ماتت جائعة.

اليوم أنا من أشهر قضاة هذا البلد لكنني جائعة يا حبيبتي، قلبي جائع، وفي وجداني مجاعة وعمري هذا يعيش حالة جوع شديد من دونك يا أمي.

حب أعرج

كنت أشرب قهوتي ببطء أرتشفها على مهل، كأني شعرت أنها آخر قهوة لي معه، جلس على الطرف الآخر مطأطأ الرأس، يعبث بهاتفه، نظراته مضطربة ويديه ترتجفان، كلماته شحيحة حتى ملابسه لم تكن أنيقة كالعادة، كانت عيناه تتجنب عيناي، في حركة عفوية مني لامست أصابعه فسحب يده مرتعبا كأنه أصيب بصعقة كهربائية، أخذ يتكلم بسرعة وبعبارات غير متناسقة لم أستوعب منها شيئا سوى أنه اختار لنفسه حياة أخرى لا وجود لي فيها وأنه ممتن لي لو أني أتقبل الموضوع بتفهم.

امتزجت قهوتي بدموعي لم أقل شيئا، سحب كرسيه للوراء ورحل دون سبب يذكر.

حظ البعض من الحب أن يولد مستحيلا يتغذى على الألم، أعرجا متكئا على عصا الوعد الكاذب ثم يموت بائسا ويدفن وحيدا.

شهادة وفاة

عندما رسبت لسنوات في نفس الصف وقف أخي في وجهي طالبا مني التوقف عن الذهاب للثانوية وأن الله إذا لم يكتب لعبده شيئا لن يناله ولو عاش عمرين.

كانت دموعي كالسيل الجارف نظرت في عيني والدتي مستنجدة إياها أن تقول شيئا لعل أخي يعدل عن قراره ويسمح لي بفرصة ثانية، فأشارت لي بيدها أن اسكتي ولا تناقشي قراره.

يومها أدركت أني وقعت شهادة وفاتي وأن أخي حكم على مستقبلي بالإعدام، ذنبي أني لم أكن ذكية ولا موهوبة، الله وحده يعلم حجم التعب الذي تكبدته كي أنجح والليالي البيضاء التي قضيتها في حل المسائل وساعات الدعم الإضافي التي كنت أحضرها.

لم يطرق النصيب بابي كنت أقضي يومي في أعمال المنزل، تزوج أخي بامرأة متعلمة، حتى أخواتي المثقفات تزوجن وبقيت أنا جليسة الأطفال الخاصة بهم، أعتني بالأطفال في غيابهم، أسهر على نظافتهم وراحتهم، منذ أسبوع تقريبا قرر أخي تسجيل ابنتيه بإحدى الحضانات الراقية بحجة أنهم بحاجة لشخص مثقف يرشدهم ويساعدهم في مسارهم التعليمي أما أنا فدوري لا يتعدى تغيير الحفاظات وتحضير الحليب

كمكافئة لي على جميلي وحسن عنايتي بالأطفال فإن زوجة أخي قد عرضت علي الزواج من جدها ذو التسعين عقدا كي أكمل مشوار تغيير الحفاظات معه وأتخرج...

فوضى الأقنعة

كانت أمل تشاركني الغرفة في الحي الجامعي، رغم معرفتي القديمة لها لكنها لم تكن قريبة مني كثيرا، توطدت علاقتنا بعد السنة الأولى وكان الكل يقسم أننا أخوات لا نفترق لحظة، نرتدي نفس الملابس، ننام معا، نأكل معا، كنا نحيا حياة واحدة.

اختلفنا أنا وأمل في شيء واحد هو أنها لم تكن تحب خطيبي فعلى حد قولها أنني أفضل منه بكثيروأستحق شخصا مميزا وهو لا يليق بي.

كانت أمل دائما تتدخل لحل خصاماتنا ومصالحتنا، لقد كانت توأمي والجدار الصلب الذي أتكئ عليه إذا وهنت روحي.

ما حدث ذات مرة هو أن خطيبي صفعني بعد شجار حاد بيننا لتتدخل أمل بكل عنف، أذكر يومها أنها نزلت عليه بوابل من السب والشتم، حتى جرحت وجهه بأظافرها.

أمل صارت أملي ومسكن آلامي وبلسمي الذي أتعاطاه إذا ما عصف بي الشوق لذلك الشخص، وكلما حاولت الاتصال به تأخذ مني هاتفي عنوة لعدة أيام، قائلة أنه رجل فاشل أناني واستبدادي لا يستحق فرصة ثانية.

اليوم أنا بالمحل التجاري أنتقي هدية لأمل العروس مع الرجل الفاشل الأناني الاستبدادي، المثيرللدهشة أنها لم تقم بدعوتي حتى،

لكني سأحضر فهي صديقتي ورفيقة عمري ولست بحاجة لمثل هذه الشكليات كي أحضر عرسها...

خيانة الأصدقاء مؤلمة أكثر من أي شيء ربما لأننا اعتدنا على خيانة العشاق، نزهنا الصديق عن الخيانة وأفرطنا في رفع مقامه، أنت لم تختر عائلتك لكنك اخترت صديقك ثم يحدث أن يخونك هذا مؤلم جدا.

هل نسيت أم تناسيت؟

عندما يحدث الفراق نظن أن النسيان سهل والتجاوز نعمة، ويحدث في ليلة ما أن يزورك شبح الذكريات يبث الخوف بقلبك، يبكي مقلتيك ويرجعك أميالا للوراء.

كيف ستتغلب على نوبات الحنين الحاد التي تنهش دواخلنا، الذكريات التي تؤرقنا، الرائحة التي مازالت تملأ المكان.

كيف أسكت بكاء الطفلة بصدري وهي تطالبني بك.

كيف لي أن أنهض ذات صباح وأقنع نفسي أنك لم تعد موجود واسمك يتردد برأسي ويقيم محافل من الصداع.

كيف لي أن أقطع الرسائل التي تبادلناها.

وأكسر أقداح القهوة التي تعاطيناها، أغوص في هستيريا البكاء أمزق الكتب التي قرأناها معا وأقنع نفسي أنك مررت بي مرور النسيم دون أثر يذكر.

في كل مرة أظن أني تجاوزتك يهزمني صوتك، ملمس يديك، رائحة جسدك، أزرار قميصك.

كيف أخبر الأماكن أننا انتهينا.

كيف أنظر في وجه أمي وأنا التي رسمتك أسطوريا أمامها، هذا الشتاء سيطول، والأيام ستصير باردة عليلة إذا كنت ستغادر لا محالة؛ علمني كيف أحب من بعدك.

المؤنسات الغاليات

في أزقة هذه الحياة البائسة كل مساء أرى شيخا رث الثياب، أشعث الشعر، يفترش الأرض ويلتحف السماء، يقتات من خشاش الأرض.
ذات حسرة تقدمت منه ووضعت بعض الدنانير بيده، فجأة سالته: أليس لديك أولاد؟
نظر نحوي بكل حسرة كأن جراحه كلها تفتحت في تلك اللحظة، جلس أرضا كأنه لا يقوى على الوقوف أكثر.
تناول بنهم قطعة خبز جاف كانت بيده، ولعابه يتناثر على لحيته البيضاء ويداه ترتجفان، صمت طويلا كأنه لا رغبة له بالحديث.
وفجأة قال لقد كنت واحدا من أغنى رجال القرية فيما مضى تزوجت ابنة عمي نزولا عند رغبة والدي، بعد شهرين من زواجنا أخبرتني زوجتي أنها حامل فحذرتها أن تنجب طفلة، أريد ذكرا رجلا يرث اسمي، لكنها لم تأخذ كلامي على محمل الجد وأنجت بنتا، ليلا عندما كانت نائمة تسللت لغرفتها وخنقت المولودة وفي الصباح أودعنا خبر وفاة البنت لحكمة ربانية، أقمنا العزاء لروحها ثم نسينا الأمر.
بقيت على هذه الحال كلما أنجبت زوجتي صبية أخنقها بعد ولادتها حتى أطلق علي أبو الرجال، أنا الوحيد بالعائلة الذي أنجب خمسة رجال.

مع مرور السنين تراجعت صحتي وتوفيت زوجتي، وكبر أبنائي واشتعل فتيل الحقد بينهم بين طامع مستبد بثروتي وأناني يريد لنفسه كل شيء.

حتى أنهم تقاسموا الإرث وأنا على قيد الحياة.

أنشأ كل واحد منهم لنفسه حياته الخاصة ونسوا أن لهم والدا عجوزا في أرذل العمر لا يقوى على المشي، صاروا يتضايقون من زياراتي لهم ويسمعونني من الحديث ما يستفزني وأن زوجاتهم ينزعجن من وجودي معهم في بيت واحد.

مرت الأيام أجدني اليوم كمتسول في هذه المدينة أعض أصابع الندم لا يد تمتد إلي ولا قلب يحنو علي فأنا لم أترك لنفسي ابنة تقول هذا أبي وأنا من صلبه حقا إنهن المؤنسات الغاليات.

في قلبه أنثى غيري

أنت شهقة الحب وفرحة عمري.

أنت زينتي وكحل عيني، أحمر شفاهي وفستاني المخملي، شعري الطويل وعيناي المشتعلتان.

أنت العقد الذي يعانق رقبتي والإسوارة التي تزين معصمي ومن بعدك أعلن نفسي أرملة.

عندما بدأت ينابيع حبك تنضب اتجاهي عرفت أنك تجري كالسيل في مكان ما.

وعندما ابتعدت عني أمتارا أدركت أنه بيننا مسافة امرأة.

وعندما استيقظت ذات ليلة وسمعتك تتكلم بصوت خافت أدركت أنه بيننا صوت امرأة.

ويوم لم تعد للبيت ليلا تأكدت أننا انتهينا ودخلت بيننا امرأة.

كنت يومها في الخامسة والعشرين من عمري وقفت في وجه أبي ويداي ترتجفان ورجلاي لا تقويان على حملي وأخبرته أني أريد هذا الرجل رغما عنه.

لن أنسى نظرته يومها كأنه يتساءل هل هذه حقا ابنتي التي حملتها على كتفي البارحة بت ساهرا عند رأسها يوم ارتفعت حرارتها وبكيت فرحا يوم نجاحها؟

رفع يده وصفعني لأول مرة وقال: افعلي ما تشائين.

ثم تزوجنا...

أنا اليوم أجلس عند قبر أبي الذي غادرني وهو يحمل بقلبه حرقة ابنته التي عصته من أجل رجل.

خانتني الأيام يوم خنت الأبوة في عينيك يا أبي وأخرجت لي الحياة لسانها شماتة بي.

اليوم قد رحلت ولم يبق لي منك سوى هذا المعطف أشم عطرك فيه والغصة تحرق فؤادي كلما تذكرت أني كسرت ظهر أبي من أجل رجل نفثني كما تنفث السجائر.

سندريلا

كانت الساعة تشير للخامسة مساء عندما عدت إلى المنزل بعد نهاية دوامي الجامعي، كلما اقتربت من البيت تسارعت دقات قلبي وتملكني الخوف، ما إن فتحت الباب انهال علي أبي ضربا حتى فقدت الوعي، أذكر حينها أني تغيبت عن الجامعة لأسبوع كامل كي لا أكون أضحوكة بين زملائي من آثار الكدمات على وجهي.

كنت أعيش مع أبي وزوجته وأولادهما، توفيت والدتي أثناء المخاض منذ ذلك الحين والجميع يحملني مسؤولية موتها كأنني أنا من قتلتها، رفض الجميع الاعتناء بي وصرت دائما أتنقل بين بيت جدي وخالي حتى تزوج أبي واستقريت مع زوجته التي أذاقتني كل أشكال التعذيب والجوع.

كنت أقتات على بقايا طعامهم، أسهر طول الليل أنظف وأنهض فجرا لمراجعة دروسي، لم أكن أطلب شيئا سوى مزاولة دراستي، مرضت فلم أجد أما حنونا تسهر على راحتي، بردت فلم تمتد يد تغطيني علها تقيني زمهرير الشتاء، جعت فلم يرأف شخص بحالي ويقدم لي رغيف خبز يابس، كان والدي يصرح بكرهه لي وأني نذير شؤم عليه، يضربني أمام صديقاتي، يبصق على وجهي ويصفني دائما بالساقطة، كان ينفق على أولاده ببذخ ولا يرفض لهم طلب.

أنا اليوم أجلس في مكتبي الفخم كواحدة من ألمع طبيبات البلد، ما أعرفه عن والدي أنه يتعفن بأحد دور العجزة بعد أن أفلس وطردته زوجته ولم يقبله أحد من أولاده في بيوتهم.

قلب أم

لجين هي صغيرتي التي رزقني الله إياها بعد سبع سنوات من العقم، ما زلت أذكر جيدا ليلة مولدها، كانت شديدة البياض، سوداء العينين، كثيفة الشعر، تشبه القمر، كان الكل يتهمني بالمبالغة في حب هذه الصبية حتى والدها كان يغار أحيانا.

كنت أنظر إليها وهي نائمة، أداعب خصلات شعرها، أتحسس جبينها خشية أن ترتفع حرارتها على غفلة مني، أرافقها إلى المدرسة، الدكان، أختار ثيابها معها، أبري قلمها ويوم قررت أن ترتدي الحجاب كنا أنا ووالدها فخورين جدا بها.

القاعدة التي اتفقنا عليها عائليا أن لجين لن تبقى بعد الخامسة مساء خارج البيت.

عندما تعود لجين إلى البيت نشعر كأن المكان يعج بالملائكة، حالة من السعادة والسرور تعم المكان كأنه جنة، ما كان يميزها أنها فتاة خجول وديعة جدا، كنت شديدة الخوف عليها من غيرة صديقاتها أو حسد الجيران فدائما ما أتبعها حتى الباب الخارجي وأنا أتلو وراءها المعوذتين، تنظر إلي برقة كأنها هي الأخرى تقول لي أمي توقفي عن المبالغة.

صغيرتي لم تعص لنا أمرا ولم تكلفنا يوما شيئا فوق طاقتنا، حتى أنها يوم كانت بحاجة لحاسوب تبجحت عن السؤال أسبوعا كاملا

وفي الأخير كتبت طلبها في ورقة أودعتها في جيب معطف والدها رغم الحاجة لم يرفض لها طلبا يوما.

ذات حسرة نمت حتى الثامنة صباحا، نهضت من فراشي مذعورة لقد تأخرت لجين عن مدرستها توجهت إلى غرفتها مباشرة فلم أجدها، ابنتي لقد ذهبت للمدرسة لم تشأ أن توقظني من نومي، دخلت المطبخ فوجدتها قد تناولت فطورها تركت ورقة كتبت عليها: سعيدة لأنكما والداي.

كان يومي كئيبا لأني لم أر لجين صباحا، صدري منقبض وعقلي مشوش، شغلت نفسي بأعمال البيت لكن لجين لم تغادر عقلي دقيقة، دقت الساعة الرابعة موعد عودة لجين، شعرت أن الزمن يمر ببطء، انقباضة فؤادي شيء ما يختلج صدري إنها أول مرة تتأخر فيها لجين، قرأت ما تيسر من القرآن ودعوت الله أن يحفظ قرة عيني.

عندما دخل والدها باكيا وخر أرضا أدركت أن مكروها قد أصاب ابنتي ولم يخذلني شعوري يوما إذا تعلق الأمر بلجين.

أقف عند قبرها تمنيت لو كان قبري، أشعر بحرارة الدمع في عيني وشرخة بصدري، كل كلمات العزاء لن تعزيني في فقيدتي.

ابنتي أنا مازلت أنهض في السابعة صباحا كي لا تتأخري عن المدرسة، أطوي ملابسك، أحضر طعامك كل ليلة، أطفئ مصباح غرفتك بعد نومك، أغطيك كي لا تبردي أيتها الناعمة.

اليوم أحضر والدك السمك، ثرت في وجهه، لماذا أحضرت السمك فلجين لا تحبه.

يقول الله من تحبه أكثر مني فإني سآخذه منك...

سنوات عجاف

عندما كنت حاملا بابني سليم في شهره الثالث، رحل والده عنا، كنت في العشرين، اسودت الدنيا بوجهي لم أكن قادرة على تحمل المسؤولية وحدي.

بعد شهرين من موته أدركت أنني سأخوض معركة البقاء، قررت أن لا أبقى مكتوفة اليدين أنتظر الصدقات التي يمن بها الناس علي، ألقيت حزني وراء ظهري وشمرت على ساعدي ورحت أعيش الحياة كبطلة، عملت كعاملة نظافة في إحدى المؤسسات، أخرج صباحا وأعود مساء منهكة، كان العمر يمضي كئيبا خاليا من كل بهجة ما عدا ضحكات ابني، ذهب جمال وجهي وغزته التجاعيد بسرعة، تآكل جلدي من مواد التنظيف، مرت علي ليال كنت أنام فيها جائعة، تمزق معطفي لكني لم أشتر آخر فسليم أولى مني بهذه النقود، كان عالمي وكنت كل شيء له.

غزا السل صدري، أكلت الحساسية جسدي وهن العظم واشتعل الرأس شيبا، كنت متأكدة أن ابني سيعوضني عن كل هذا التعب، كان الأول بالدفعة.

اليوم هو يوم تخرج المهندس سليم، سيناقش مذكرته بحضور دكاترة مختصين وطلبت متوفقين، أما أنا والدته سأحضر تخرجه خلف

الكواليس من وراء الباب لأنه أراد هذا، لا يريد أن يسخر منه الطلبة كون أمه عاملة تنظيف، أخبرني هذا صباحا عندما رآني أجهز نفسي بكل فخر، وضع عينه بعيني وقال أنه لا يريد أن يراني بقاعة المناقشة.

الأمر أشبه بأن يدفعك أحدهم نحو الهاوية، أن تقضي عمرك واقفا ويوم يسمح لك بالجلوس يخونك عمودك الفقري، كأن تنتظر سيارة لساعات في طريق مهجور وعندما تأتي يتجاهلك سائقها.

كنت أمشي بالشوارع لا أدري أين تأخذني قدماي، أنظر في الوجوه الكل غريب، حتى ابني لم أعد أحفظ ملامحه البريئة، استحالت سراب.

انتدبت مكانا قصيا وبكيت، بكيت كما لم أبك من قبل، بكيت على سنواتي العجاف.

تنازلات

مهما حلقت أرواحنا وصارلها أجنحة تبقى معلقة بشيء ثابت بالأرض ولو بلغنا عنان السماء تبقى لجاذبية الأرض يد علينا.

كنت سيدة كل النجمات، متوهجة جميلة جامحة ومثقفة وحلم كل الشباب، إلا أن تعرفت على خالد الذي أخفضت له جناح العمر حبا، كان شخصا عاديا لا يلفت انتباه أنثى، لكن لعنة حبه أصابت قلبي ولم يتمكن شخص من روحي مثلما فعل هو.

تخطئ القلوب مرة ثم نمضي طول العمر ندفع الثمن.

عندما تقدم لخطبتي أصريت على التخلي عن الدراسة والزواج، غضب أخي مني غضبا شديدا كونه هو أبي الثاني بعد وفاة والدينا. أتاني خلوة ذات مرة وأخبرني إذا كانت سعادتي مع هذا الشخص فهو لن يقف عائقا أمامي وأن صدره سيبقى موطني الذي أغرس روحي فيه متى أبكتني الأيام.

تزوجت وخالد بسرعة كنت أغدق عليه بالاهتمام وأفرط في تدليله فلا أكف عن الاتصال به والسؤال عنه طول اليوم وإذا عاد للبيت استقبلته بشوق كأنه غاب عني دهرا.

ذات ليلة كنت وحدي بالبيت وزوجي كان في مهمة عمل كل ما أذكره الآن أني ضغطت على زر المصباح فإذا بانفجار مدوي يهز المكان والنيران

تأكل جسدي وكل أرجاء المنزل، قضيت شهرا كاملا في العناية المشددة، جزم الأطباء على موتي ولكن الله كتب لي عمرا جديدا.

كان وجهي ملفوفا بالشاش الأبيض منعني الطبيب من رؤية وجهي في المرآة، شعرت أن معالم وجهي تغيرت دون رؤيتها وأني مشوهة بالكامل ويوم رأيت الدهشة على وجه خالد أدركت أني تحولت لشبه إنسان.

مضت سنتين لم أغادر بيتنا العائلي ولم يروجهي النور منذ أن زارنا خالد ذات صباح وأخبرني أنه لم يعد يريد مواصلة الحياة مع امرأة مشوهة مثلي وألقى علي الطلاق ورحل...

لا أملك انتصارا واحدا أصعد الخشبة وألقيه على مسامعكم متفاخرة به، أنا جمهور نفسي أكتب أحزانكم بدموع عيني ، ألامس شغاف قلبكم، ألقيها على كراسيكم الخالية، ثم أغادر فارغة الرصيد من السعادة، عرجاء الأمل، مبتورة الأحلام لا أنتظر تصفيقا من أحد...

الفهرس

شيفرة قلبي	6
لو	8
عمر من الألم	9
بوح	11
إلى امرأة بعدي	13
هدنة	15
خذلان	18
احتياج	20
أيام مهترئة	21
الاحتباس القلبي	23
بيني وبينك	25
ليل أسود	27
كبرياء وألم	29
نصف سبب للبكاء	32
قيامة	34
سأكتب	36

سيرة ذاتية	38
سعادتي الحزينة	40
انتظار	42
شلل المشاعر	44
مدينة لنفسي	46
تعثر قلبي	48
فوبيا الحب	50
خطيئة	51
البؤساء	53
أخاف عليك	55
ماهية الحب	57
متورطة بك	59
كيد النساء	60
سرطان الحب	62
فلنرتقي	64
الطلقة الروسية	65
عشق الخمسين	66
نصيب	68

جوع الأرواح 69
حب أعرج 70
شهادة وفاة 71
فوضى الأقنعة 73
هل نسيت أم تناسيت؟ 75
المؤنسات الغاليات 76
في قلبه أنثى غيري 78
سندريلا 80
قلب أم 82
سنوات عجاف 84
تنازلات 86